المتوسطة أو المائعة المعروفة وهي اللام والميم والنون والراء.

وورد في العربية القديمة إبدال الياء من الراء في (تسرّيت)[119] وأصله (تسررت) وأبدلت الياء من النون في (دينار)[120] وأصله (دِنّار) كما ورد (تظنّيت)[121] في (تظننت).

وقد نبّه اللغويون العرب على مثل هذه الظاهرة، فعقد سيبويه لها بابا سماه (باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف، وليس بمطرد)[122]. كما علل اللغويون سبب ذلك الابدال بقولهم : «هروبا من اجتماع الأمثال»[123] أو «هروبا من ثقل التضعيف»[124] أو «كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد»[125].

6 ــ يكون التخفيف ــ أحياناً ــ ناشئا من القلب المكاني كقولهم :

«المعلقة» للملعقة في اللهجة المصرية [126].

وقولهم :«زميج» بدلا من (مزيج) في لهجة أرياف المنطقة الوسطى من العراق وحصل قلب مكاني للضمير (أنا) وأصبح (آنَ) في كثير من اللهجات العربية الحديثة كاللهجة العراقية [127] والتونسية وبعض القرى المصرية[128] والتلمسانية.

فتقدمت اللام التي هي (الالف في «أنا») على النون التي هي (النون) فاجتمعت الهمزة مع الألف الساكنة فتحولت إلى (مدة) : (آ) ومثل هذا الاستعمال للضمير (أنا) ليس غريبا عن اللهجات القديمة.

فقد حكى الفراء[129] (آنَ فعلتُ) كما نسب هذه اللهجة صاحب التهذيب إلى قضاعة[130] واستشهد لها بقول عدّي[131] :

ياليت شِعري آن ذو عَجَّة
متى أرى شَرْباً حَوَالي أصيصْ ؟[132]

7 ــ وقد يكون التخفيف ناشئا عن النحت، وهو تكوين كلمة أو قطعها من أحرف كلمتين فأكثر لتدل على معنى ما، وغرضه الاختزال والاختصار.

فقالوا : «ايش بدك ؟ » [133] والاصل : «أي شيء بودّك ؟» في اللهجة السورية.

وقالوا : «منين ؟» في (من أين ؟) في اللهجة المصرية والعراقية[134].

وقالوا : «ليش ؟ » في (لأي شيء ؟) في اللهجة العراقية[135].

وقالوا : «ماعنديش» في (ما عندي شيء) في اللهجة الجزائرية[136] والمصرية.

وهكذا تطورت اللهجات المحلية في مختلف المناطق العربية عبر العصور المختلفة وسادت في ركب التطور نحو التيسير والتسهيل والسير من الصعب إلى السهل طلبا للاختصار والاقتصاد بالمجهود العضلي، وسرعة الأداء لمواكبة عصر السرعة.

ومن هذا العرض الذي أوضحت فيه ما آلت إليه اللهجات المحلية يمكن استخلاص النقاط التالية :

أولاً ــ مرّت اللغة العربية الفصيحة بأدوار كثيرة وظروف متنوعة تغيرت أصواتها ومفرداتها عبر العصور المتعاقبة حتى تحولت إلى لهجات مختلفة كل لهجة تتصف بصفات ومميزات معينة ولها جذور وظواهر خاصة تشترك أحياناً مع الظواهر التي تتميز بها لهجة القبائل التي انحدر منها أصحاب اللهجة الحديثة، كظاهرة الكشكشة والشنشنة والعجرفيّة وغيرها[137].

ثانياً ــ استعمل في اللهجة الحديثة أصوات إضافية استعيرت من اللغات الأخرى كاللغة الفارسية والتركية والانجليزية والفرنسيّة وغيرها. ومن تلك الأصوات صوت الباء المهموسة والكاف الفارسية

«زيتْ»(*) بدلا من «زَيْت»

«ڤين» بدلا من «دَيْن»

«سيف» بدلا من «سَيْف»

في اللهجة العراقية(106) وقولهم :

«بيت» بدلا من «بَيْت»

في اللهجة العراقية(106) والمصرية(107)

والامالة هي ضرب من الانسجام والتقريب والهدف منها كما يقول ابن يعيش (108) : «تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل» فسبب الامالة هنا هو لتناسب الأصوات وتقاربهما وذلك لأن النطق بالياء والكسرة مستفل منحدر، والنطق بالفتحة والألف مستعل متصعد ، ففي الامالة صارت الالف من نمط الياء في الانحدار والتسفل.

4 ــ إبدال بعض الحروف بأخرى أسهل في النطق كقولهم :

«بحتر» بدلا من «بعثر»

في اللهجة المصرية(109) فأبدلت العين حاء.

والعين هو «صوت مجهور مخرجه وسط الحلق. فعند النطق به يندفع الهواء ماراً بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين حتى إذا وصل إلى وسط الحلق ضاق المجرى»(110) والحاء هو الصوت المهموس الذي يناظر العين، ومخرجها واحد، ولا فرق بينهما إلا في أن الحاء صوت مهموس نظيره المجهور هو العين.

وقد نبه الخليل بن أحمد(111) إلى هذا الفرق بينهما فقال : «ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها» وذكر مثل هذا ابن جني(112) وأضاف قائلا : إن الحاء فيها بحة يجري معها النفس، وليست كالعين التي تحصر النفس(112).

وكلام ابن جني هذا يرشدنا إلى السبب في إبدال العين حاء وذلك لأجل التخفيف وسهولة النطق لأن الحاء يجري معها النفس ولا ينحبس كما في العين.

وأبدلت الغين خاء في بعض اللهجات العراقية(113) كقولهم :

«خَسَل» بدلا من «غسل»

«خَصَبَه، خَصْباً» بدلا من «غصبه، غصبا»

و«اخْتَال» بدلا من «اغتال»

والخاء والغين صوتان حلقيان مخرجهما واحد، وكل منهما صوت رخو مرقق إلا أن الفرق بينهما هو أن الخاء النظير المهموس للغين، أي أن الأوتار الصوتية تهتز مع الغين ولا تهتز مع الخاء.«فعند النطق بالخاء يندفع الهواء مارا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدناه إلى الفم»(114).

لهذا أبدلت الغين خاء لأجل التيسير وللسهولة في النطق.

5 ــ تخفيف النطق بإبدال الحرف المضعف ياء كقولهم :

«مِدّيت» بدلا من (مددت)، و«فُكّيت» بدلا من (فكَكْتُ) في اللهجتين العراقية(115) والمصرية(116).

وقولهم : «حِسّيت» بدلا من «حَسِسْت» في اللهجتين العراقية والجزائرية(117).

ويعرف مثل هذا الابدال عند علماء الأصوات(118) ب (قانون المخالفة)، وهو القانون الذي يعمد إلى صوتين متماثلين تماما في كلمة من الكلمات، فيغير أحدهما إلى صوت آخر يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة أو من الأصوات

(*) هذه العلامة (ه) ترمز لحركة الامالة أي : إمالة الفتحة نحو الكسرة أو إمالة الألف نحو الياء.